العبادة الهيكلية في الكتاب المقدس
ثالثا – هيكل سليمان

في المحطتين السابقتين توقفنا عند المرحلة الأولى من العبادة الهيكلية في الكتاب المقدس، وهي مرحلة المذابح المتنقلة وغير المنظمة، والتي تغطي مرحلة الآباء. ثم المرحلة الثانية وهي مرحلة خيمة الاجتماع، وهي المرحلة الأبرز والأهم فيما يتعلق بالعبادة الهيكلية في الكتاب المقدس، على الأقل بسبب المساحة الكبيرة المعطاة لوصفها والحديث عنها في نصوص الكتاب المقدس، بشكل رئيس في العهد القديم طبعا، ولكن حتى العهد الجديد توقف عند بعض شؤونها بشكل ملفت جدا، خاصة في الرسالة إلى العبرانيين.

مر من تاريخ الشعب زمن من العسير تحديده تماما، ولربما يغطي كل مرحلة القضاة، بل حتى إلى بداية المرحلة الداودية، اندثرت فيه العبادة المركزية بين الشعب، خسر خلالها مفهوم العبادة الهيكلية، التي اعتاد عليها لأجيال مع خيمة الاجتماع.

إنَّ مرحلة فقدان الخيمة، أو العبادة المركزية، ترافقت مع تغيرات كبيرة جدا في حياة شعب إسرائيل، وصل فيها إلى حالة من المدنية والتحضر، انعكس بشكل رئيس على التنظيم السياسي حيث بدأ الشعب البدوي التحول إلى الملكية. هذه الملكية التي كانت أقرب إلى الهواية مع شاول أول المتملكين، راحت تتحول إلى حالة احترافية مع داود، لتكتمل مع ابنه.
واحدة من مظاهر الاحتراف الملكي هذا، كان بناء هيكل لعبادة "يهوه". في الواقع حمل هذا المظهر وجهين لا يمكن اهمالهما:
الأول ديني، حيث مثلت مرحلة حكم داود حالة ردة دينية بقيت آثارها بضعة مئات من السنين في الحياة الدينية للشعب. كان تتويج تصويرها مع شعور داود بالذنب ، مقارنة بسكنه هو في بيت من حجر، بينما تابوت العهد، أو بالحري ما بقي من مقدسات خيمة الاجتماع محفوظة في خيمة بسيطة، حتى لا يمكن مقارنتها مع خيمة الاجتماع القديمة "انْظُرْ، إِنِّي سَاكِنٌ فِي بَيْتٍ مِنْ أَرْزٍ، وَتَابُوتُ اللهِ سَاكِنٌ دَاخِلَ الشُّقَقِ" (2صم 2/7).
الثاني سياسي، فالمملكة القوية تحتاج إلى إله قوي وهو موجود إنه "يهوه"، والإله القوي يحتاج إلى هيكل كبير وقوي، لا ينقص عن الممالك المجاورة هيبة وعظمة و"فخفخة"!

لكن العقبة المفاجئة لداود كان الاعلان الالهي عن مشيئة إلهية لا تعطيه الحق ببناء الهيكل! "مَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ، أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَه، هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مَمْلَكَتِهِ إِلَى الأَبَدِ" (2صم 12/7 و13)، عن عدم آهليته لهذا العمل الجليل! "وَلكِنَّ اللهَ قَالَ لِي :لاَ تَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي لأَنَّكَ أَنْتَ رَجُلُ حُرُوبٍ وَقَدْ سَفَكْتَ دَمًا" (1أخ 3/28). فاستعاض عن شرف البناء بتحضير المواد الاولية الكفيلة ببناء هيكل ذي هيبة ووقار (1أخ 28)، تبقى بين يدي ابنه فتمكنه من جعل بناء الهيكل مشروعه الأول. وبالفعل ترك داود وصية مع سليمان، وهكذا التزم سليمان برغبات أبيه ووصية إلهه، بأن انطلق ببناء هيكل جديد عظيم (2أخ 1/2).

نموذج البناء:
واحد من الأسئلة الهامة التي تُسأل في موضوع هيكل سليمان، هو: من أين أتى سليمان بالنموذج الذي بنى على أساسه هيكل لله؟ وكيف حصل على الرخصة بإجراء تعديلات على مكونات هيكل الخيمة؟ فلقد فهمنا من سفر الخروج بشكل خاص أن الرب لقن موسى شكل وأبعاد وكل مواصفات بناء وتزيين وتقديس خيمة الاجتماع، وتلك كانت خيمة بسيطة مقارنة ببناء ضخم جدا!
ما يبدو من النصوص أن ثلاثة عوامل تفاعلت معا لتنتج شكل وتفصيلات هيكل سليمان، هي:

- داود: إن النص الذي يوضح فيها داود كيف اكتشف الشكل الذي يجب أن يكون عليه الهيكل الجديد غامض قليلا "قَدْ أَفْهَمَنِي الرَّبُّ كُلَّ ذلِكَ بِالْكِتَابَةِ بِيَدِهِ عَلَيَّ، أَيْ كُلَّ أَشْغَالِ الْمِثَالِ" (1أخ 19/28)، على كل حال هذا الإصحاح من سفر الأخبار فيه بعض التفاصيل التي أعطاها داود لابنه سليمان.
- سليمان: من المؤكد أن سليمان الذي عاش حياة الملوك حيث ولد في بيت ملك مع كل الغنى، كان لديه تصور، خاصة أن كل أعمال البناء بكل تفاصيلها تمت في أيامه وتحت إشرافه.

- حيرام الصيدوني: هذا المهندس الفريد بمهارته خاصة في أعمال الديكور "وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ وَأَخَذَ حِيرَامَ مِنْ صُورَ، وَهُوَ ابْنُ امْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ مِنْ سِبْطِ نَفْتَالِي، وَأَبُوهُ صُورِيٌّ نَحَّاسٌ، وَكَانَ مُمْتَلِئًا حِكْمَةً وَفَهْمًا وَمَعْرِفَةً لِعَمَلِ كُلِّ عَمَل فِي النُّحَاسِ .فَأَتَى إِلَى الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ وَعَمِلَ كُلَّ عَمَلِهِ" (1مل 7/13-14)، يبدو أنه مع معاونيين له "فَنَحَتَهَا بَنَّاؤُو سُلَيْمَانَ، وَبَنَّاؤُو حِيرَامَ وَالْجِبْلِيُّونَ، وَهَيَّأُوا الأَخْشَابَ وَالْحِجَارَةَ لِبِنَاءِ الْبَيْتِ" (1مل 18/5) استطاعوا أن يشبعوا رغبة الشعب المتمدن حديثا بالزخارف والديكورات الساحرة، التي رآها بعضهم عند الشعوب الأخرى، وها هي الآن في بيت إلههم خاصة، وأقرب مثال على هذا قصر داود نفسه "وَأَرْسَلَ حِيرَامُ مَلِكُ صُورَ رُسُلاً إِلَى دَاوُدَ وَخَشَبَ أَرْزٍ وَبَنَّائِينَ وَنَجَّارِينَ لِيَبْنُوا لَهُ بَيْتًا" (1أخ 1/14).

وصف البناء:

- موقعه:

بحسب نص الأخبار، فإن الهيكل بُني على جبل المريا، حيث قدم إبراهيم ابنه ذبيحة، وحيث اشترى داود حقل أرنان "وَشَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، فِي جَبَلِ الْمُرِيَّا حَيْثُ تَرَاءَى لِدَاوُدَ أَبِيهِ، حَيْثُ هَيَّأَ دَاوُدُ مَكَانًا فِي بَيْدَرِ أُرْنَانَ الْيَبُوسِيِّ" (2أخ 1/3)، وهو الموقع التي توجد فيه الآن قبة الصخرة.
أما من حيث شكل البناء، فلابد لنا أن نلاحظ أننا لا نملك أي شكل أو صورة أو مجسم لهيكل سليمان، وكل ما لدينا إنما التصور الآتي من الوصف الموجود في الكتاب المقدس، وذلك الموجود في كتب التاريخ القديمة.
كذلك لم تصل الحفريات المعروفة والمعلنة إلى اليوم إلى الطبقة التي وجد فيها الهيكل، كما أنه يجب أن نعرف أن الوصول إلى تلك الطبقة بشكل حقيقي وفعلي يقضي هدم كثير من الأبنية القائمة اليوم، ومنها الجامع القائم حيث الموقع. هذا إذا اعتبرنا الحفريات السرية التي يقوم بها الاسرائيليون غير صحيحه.

- أقسامه:
  - من حيث التخطيط العام، فإن الهيكل حافظ على المخطط العام الذي كان للخيمة: دار كبيرة، وغرفة كبيرة مقسومة إلى غرفتين. وكل ما عدا هذا المخطط يختلف اختلافا جذريا عن الخيمة.
  - أبعاد بناء الهيكل: بناية الهيكل عبارة عن مستطيل كبير بعداه 26 و9 أمتار، في حين أنه يرتفع إلى 13 مترا. الجزء الرئيس من البناية هو الغرفتان الكبيرتان جدا واللتان تمثلان القدس وقدس الأقداس، في حين بنيت 15 غرفة على كل ضلع من طول البناية، وارتفعت هذه الغرف ثلاث طبقات.
  - الفناء (الساحات): كان هناك فناءان:
    - فناء داخلي (الدار العليا) يحيط بالمنطقة المقدسة المخصصة للكهنة (1 مل 6 : 36 ، 2 أخ 4 : 9) ،
    - فناء خارجي أو الدار العظيمة (2 أخ 4 : 9).
  - الرواق: أو الفسحة الممتدة أمام مدخل القدس قبل النزول إلى الساحة. في هذا الرواق أقام سيمان عمودين من نحاس أعطى كل منهما اسما! هما: "ياكين" على اليمين و "بوعز" على اليسار، يعلو كل عمود منهما تاج (1مل21/7، 2أخ 3/ 4 و15-17).

- زينته:

كل الجدران الداخلية والأرضية كانت مكسوة بخشب أرز وسرو ومغشاة بالذهب، مزينة برسوم ونقوش كثيرة جدا موصوفة بتفصيل في سفر الأخبار. إضافة إلى ذهب كثير جدا لصنع الأواني والمجسمات التي احتواها خاصة القدس.

- محتوياته:

في الوقت الذي حافظ فيه قدس الأقداس على المحتوى الوحيد الموصوف في خيمة الاجتماع وهو تابوت العهد. فإن القدس تضخمت محتوياته من منارة ومائدة ومذبخ بخور إلى: مذبح بخور واحد، وعشرة منائر ذهبية ، وعشرة موائد لخبز الوجوه (2أخ 7/4و8)!

حفل التدشين:
أُحتفل بتدشين هذا المبنى الفخم على مدى أسبوع من التشكرات والصلوات. وعندما صلى سليمان لتكريس المبنى، أمام مذبح المحرقة (2أخ6) "وَلَمَّا انْتَهَى سُلَيْمَانُ مِنَ الصَّلاَةِ، نَزَلَتِ النَّارُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتِ الْمُحْرَقَةَ وَالذَّبَائِحَ، وَمَلأَ مَجْدُ الرَّبِّ الْبَيْتَ. وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْكَهَنَةُ أَنْ يَدْخُلُوا بَيْتَ الرَّبِّ لأَنَّ مَجْدَ الرَّبِّ مَلأَ بَيْتَ الرَّبِّ، وَكَانَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَنْظُرُونَ عِنْدَ نُزُولِ النَّارِ وَمَجْدِ الرَّبِّ عَلَى الْبَيْتِ، وَخَرُّوا عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى الأَرْضِ عَلَى الْبَلاَطِ الْمُجَزَّعِ، وَسَجَدُوا وَحَمَدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ صَالِحٌ وَإِلَى الأَبَدِ رَحْمَتُهُ" (2أخ7/1-3). واستمرت الاحتفالات أياما عديدة جداً (2أخ7/7-11).

تاريخ هيكل سليمان:
أبرز المحطات التي مرت بحياة هذا الهيكل يمكن تلخيصها بالشكل التالي:

- ✓ التأسيس: استغرق بناء الهيكل سبع سنوات (1مل 38/6)، ابتداء من السنة الرابعة من حكم الملك سليمان.
- ✓ يربعام وأول المنافسات: فهم يربعام أهمية العبادة والهيكل في حياة الشعب "وَقَالَ يَرُبْعَامُ فِي قَلْبِهِ: الآنَ تَرْجِعُ الْمَمْلَكَةُ إِلَى بَيْتِ دَاوُدَ. إِنْ صَعِدَ هذَا الشَّعْبُ لِيُقَرِّبُوا ذَبَائِحَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، يَرْجِعْ قَلْبُ هذَا الشَّعْبِ إِلَى سَيِّدِهِمْ، إِلَى رَحُبْعَامَ مَلِكِ يَهُوذَا وَيَقْتُلُونِي، وَيَرْجِعُوا إِلَى رَحُبْعَامَ مَلِكِ يَهُوذَا" (1مل 26/12)، لهذا كان من أول أعماله بعد قسمة مملكة سليمان بينه وبين رحبعام أن بنى هيكلا في السامرة "وَبَنَى بَيْتَ الْمُرْتَفَعَاتِ، وَصَيَّرَ كَهَنَةً مِنْ أَطْرَافِ الشَّعْبِ لَمْ يَكُونُوا مِنْ بَنِي لاَوِي، وَعَمِلَ يَرُبْعَامُ عِيدًا فِي الشَّهْرِ الثَّامِنِ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، كَالْعِيدِ الَّذِي فِي يَهُوذَا، وَأَصْعَدَ عَلَى الْمَذْبَحِ .هكَذَا فَعَلَ فِي بَيْتِ إِيلَ بِذَبْحِهِ لِلْعِجْلَيْنِ اللَّذَيْنِ عَمِلَهُمَا .وَأَوْقَفَ فِي بَيْتِ إِيلَ كَهَنَةَ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي عَمِلَهَا" (1مل 31/12-32).
- ✓ حملة شيشق: كانت حملة فرعون مصر أول تحد لمملكة الجنوب وهيكلها الذي وقع أسيرا بيده "وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِلْمَلِكِ رَحُبْعَامَ، صَعِدَ شِيشَقُ مَلِكُ مِصْرَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَخَذَ خَزَائِنَ بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنَ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَأَخَذَ كُلَّ شَيْءٍ .وَأَخَذَ جَمِيعَ أَتْرَاسِ الذَّهَبِ الَّتِي عَمِلَهَا سُلَيْمَانُ" (1مل 25/14و26، 2 أخ 2/12-9).
- ✓ آسا وتحسن طفيف: (1مل 15/9-15).
- ✓ عثليا ونهب جديد: (2أخ 7/24).
- ✓ يوآش والتجديد: (2مل 12 و2أخ24).
- ✓ يوآش من الشمال ونهب الهيكل: (2مل 14/13-14).
- ✓ عزيا والتعدي على الهيكل: (2أخ 26/16-18).
- ✓ يهوشافاط ويوثام والتوسيع: (2أخ 15/35، 20/5، 27/2).
- ✓ آحاز وتدنيس الهيكل: وذهب الملك الشرير آحاز إلى أبعد مما ذهب إليه سابقوه ، فى تدنيس الهيكل: "أَخَذَ آحَازُ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ الْمَوْجُودَةَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَفِي خَزَائِنِ بَيْتِ الْمَلِكِ وَأَرْسَلَهَا إِلَى مَلِكِ أَشُّورَ هَدِيَّةً... وَرَأَى الْمَذْبَحَ الَّذِي فِي دِمَشْقَ .وَأَرْسَلَ الْمَلِكُ آحَازُ إِلَى أُورِيَّا الْكَاهِنِ شِبْهَ الْمَذْبَحِ وَشَكْلَهُ حَسَبَ كُلِّ صِنَاعَتِهِ، فَبَنَى أُورِيَّا الْكَاهِنُ مَذْبَحًا .حَسَبَ كُلِّ مَا أَرْسَلَ الْمَلِكُ آحَازُ مِنْ دِمَشْقَ... وَقَطَعَ الْمَلِكُ آحَازُ أَتْرَاسَ الْقَوَاعِدِ وَرَفَعَ عَنْهَا الْمِرْحَضَةَ، وَأَنْزَلَ الْبَحْرَ عَنْ ثِيرَانِ النُّحَاسِ الَّتِي تَحْتَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى رَصِيفٍ مِنْ حِجَارَةٍ" (2مل16/8-18).
- ✓ حزقيا والإصلاح: (2مل 18/1-6، 2أخ 29/31)، مع اضطراره للاستفادة من خزائن الهيكل! (2مل 18/13-16).
- ✓ منسى والعودة للوثن: (2مل 21/3-7، 2أخ 33/3-11).

- ✓ يوشيا والإصلاح العظيم: لعل شهرة يوشيا أتت أساسا من الإصلاح الكبير الذين عمله وارتكز بشكل رئيس على استعادة العمل بالشريعة والاهتمام بالهيكل (2مل22 و23، 2أخ 34-35).

- ✓ التدمير النهائي:

حصل هذا التدمير على مراحل، أدت في النهاية إلى دمار كلي للهيكل، مع سبي عظيم للشعب:

- أيام يهوياقيم بن يوشيا: حيث أخذ نبوخذ ناصر ملك بابل بعض آنية بيت الرب (2أخ 5/36-7).
- يهوياكين بن يهوياقيم: مرة أخرى أفرغ نبوخذ نصر ما تبقى من خزائن الهيكل والملك (2مل 8/24-10).
- أيام صدقيا: مرة ثالثة أتى نبوخذ نصر إلى المنطقة (587 ق.م) فأسر الملك صدقيا وفقأ عينيه وقتل أولاده وأكم (587 ق.م) " جاء نبوخذ ناصر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم " وأخذوا صدقيا أسيراً بعد أن قتلوا أبناءه أمام عينيه ، ثم " قلعوا عينى صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل " (2ملوك 25/ 1و 8 و 9)
- حرق الهيكل: بعد سبي صدقيا (587 ق.م) بحوالي عشرة سنين، عاد جنود بنوخذنصر بقيادة نبوزردان "وَأَحْرَقَ بَيْتَ الرَّبِّ وَبَيْتَ الْمَلِكِ، وَكُلَّ بُيُوتِ أُورُشَلِيمَ، وَكُلَّ بُيُوتِ الْعُظَمَاءِ أَحْرَقَهَا بِالنَّارِ، وَجَمِيعُ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ مُسْتَدِيرًا هَدَمَهَا كُلُّ جُيُوشِ الْكِلْدَانِيِّينَ الَّذِينَ مَعَ رَئِيسِ الشُّرَطِ. وَبَقِيَّةُ الشَّعْبِ الَّذِينَ بَقُوا فِي الْمَدِينَةِ، وَالْهَارِبُونَ الَّذِينَ هَرَبُوا إِلَى مَلِكِ بَابِلَ، وَبَقِيَّةُ الْجُمْهُورِ سَبَاهُمْ نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرَطِ" (2مل 25/9-11).

وهكذا أنتهى الهيكل الذى بناه سليمان ، بعد نحو 400 سنة من إقامته.

عاصر هيكل سليمان تاريخا حافلا بالسلبية، بالتدنيس والخراب، فَقَدَ بسببها في معظم أيام تاريخه المجد الذي خصص لأجله، ومات بسببها حلم داود ببيت قوي مبارك لسكنى الله في وسط شعبه. زيّن سليمان هيكل الله الجديد بكل زينة وكرسها تكريسا فريدا، لكنه ترك قلبه تعشش فيه الخطية والتساهل، فكان أن حصد دمارا لبنائه الجميل، وخرابا في حياة شعبه لسنين عديدة بعد موته.

هل لاحظت كم من أبنية جميلة لدينا مكرسة لاسم الرب القدوس؟ هل انتبهت كم من هياكل لربما تفوق هيكل سليمان تكلفة وجمالا وفرادة، ولكن ماذا عن هياكل – قلوب المحسوبين عليها؟ اليوم أدعوك: قبل أن تفتخر ببناء لك مكرس للرب، أن تنظر في داخلك وتسأل نفسك: هل أستطيع أن أفتخر علنا بهيكل قلبي، بيتا نظيفا نقيا مقدسا مكرسا بالحق وبالكلية لمجد الله الآب والابن المخلص والروح المعين؟
إن قصة هيكل سليمان، تصل بنا في النهاية إلى العبرة المخيفة التالية:

**** إذا لم تسهر على ما لديك، فحتى أقدس ما تملك سيدنس ويحرق ويختفي ****